زليخه الشهابي .. من رائدات العمل النسائي الفلسطيني

زليخة الشهابي

الميلاد

1903, القدس, فلسطين

الوفاة

13 أيار 1992, القدس, القدس

ولدت في مدينة القدس. والدها إسحاق عبد القادر الشهابي. والدتها زينب المهتدي. أشقاؤها صبحي؛ جميل. شقيقاتها رسمية؛ رفقة.

تعلّمت في مدرسة راهبات صهيون، فوالدها من الآباء القلائل الذين حرصوا في مطلع القرن العشرين على إرسال بناتهم إلى المدارس لتعلم العلوم واللغات، وكانت من الطالبات الأوائل.

تفتّح وعيها على المخاطر الصهيونية، وهي من نشأت في أسرة مقدسية عريقة تعلّمت منها تاريخ مدينتها منذ كان الفتح العربي الإسلامي، فراحت بدورها تنقل إلى زميلاتها في المدرسة ما تسمعه من أمها وأبيها.

انطلقت في العمل الوطني في خضم الأحداث التي أعقبت ثورة البُراق، فحضرت المؤتمر النسائي العربي الفلسطيني، وكان أول اجتماع نسائي فلسطيني سياسي عام، في تشرين الأول/ اكتوبر 1929 في القدس، شاركت فيه ثلاثمائة سيدة للتداول في الأوضاع السياسية، وأصدرن مذكرة شرحن فيها أسباب الثورة ومطالب الشعب، وانتخبن وفداً لمقابلة المندوب السامي، وكانت في عداد الوفد الذي قدّم إليه المذكرة، وألقت أمامه متيل مغنم كلمة بالإنكليزية وطرب عبد الهادي بالعربية. ولما عاد الوفد إلى النساء المجتمعات، انطلقت التظاهرة النسائية الضخمة في مائة سيارة تجوب شوارع العاصمة وهن يطلقن الهتافات وسط حماس شعبي كبير.

أسست في القدس مع رفيقات لها "جمعية السيدات العربيات" تجاوباً مع قرارات المؤتمر النسائي الأول، كذلك قامت النساء بتأسيس الجمعيات المشابهة في معظم المدن، وعُرفت هذه الجمعيات ايضاً باسم "لجان السيدات العربيات"، وسوف تُعرف لاحقاً بالاتحادات.

نظمت مع ميليا السكاكيني حملة مجانية لتعليم الفتيات مبادئ القراءة والكتابة، كما أقامت "مدرسة الدوحة" وكانت من المدارس المشهود لها بحسن رعاية الصغيرات تعليمياً وصحياً.

قامت من خلال "لجان السيدات العربيات" بدور بارز في مرحلة الإضراب والثورة الكبرى (1936- 1939)، فكانت صاحبة المبادرة بالذهاب إلى المحاكم لحضور جلسات محاكمة الثوار المعتقلين، ومعها عدد من السيدات، وذلك من أجل رفع معنوياتهم وإشعار السلطات بأن الشعب يقف إلى جانب هؤلاء الأبطال.

كانت في طليعة الوفد الفلسطيني النسائي من سبع وعشرين سيدة للمشاركة في "المؤتمر النسائي الشرقي"، الذي دعت إليه السيدة هدى شعراوي زعيمة الحركة النسائية بمصر، لنصرة فلسطين وقضيتها. وتم عقد المؤتمر بالقاهرة في تشرين الأول/ أكتوبر 1938 بحضور وفود من الأقطار العربية ضمت أكبر مجموعة من السيدات العربيات الرائدات في العمل الاجتماعي والوطني. وكانت فلسطين محور هذا المؤتمر النسائي العربي الأول، فألقت كلمتها باسم "جمعية السيدات العربيات" في القدس، وتحدثت عن تاريخ القضية والسياسة البريطانية. وحين انتخب المؤتمر وكيلات للسيدة شعرواي من كل وفد، تم انتخابها والسيدة وحيدة الخالدي من الوفد الفلسطيني. وفي ختام المؤتمر دُعيت لإلقاء كلمة فلسطين، فشكرت الجميع وختمت بقولها: "سنعود مقتنعات بأن أهل فلسطين ليسوا وحيدين في ميدان الجهاد المقدس لتخليص بلادهم."

عادت إلى القدس وباشرت بتنفيذ اقتراح السيدة هدى شعرواي بتوحيد العمل النسائي العربي تحت اسم واحد هو "الاتحاد النسائي العربي"، فأعلنت حل "جمعية السيدات العربيات" في القدس وقيام "الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني".

من أبرز أعمالها على صعيد الخدمات الصحية والاجتماعية، أنها من خلال "الاتحاد النسائي" في القدس: أنشأت لجنة إسعاف تنزل إلى الميدان لإسعاف الجرحى؛ أنشأت مستوصفاً لمعالجة المعوزين والتطعيم ضد الأمراض السارية والمعدية؛ أسست مستوصفاً طبيّاً للعناية بالحوامل ومركزاً لرعاية الأطفال؛ ساهمت بتأمين المأوى للأيتام فدفع الاتحاد نفقات تعليم عشرات الأيتام في دار الأيتام الإسلامية؛ أوجدت منتجعاً شتوياً في أريحا للنقاهة وبيتاً للنساء المعوزات. أما الصورة التي التصقت عنها بالذاكرة الشعبية فهي أنها المرأة التي تزور السجون والمعتقلات مشجعة لا مواسية، والتي تحمل الهدايا الرمزية للمعتقلين السياسيين لإشعارهم بأن الشعب معهم.

صرفت اهتماماً خاصاً للشؤون الرياضية، فأسس الاتحاد النسائي بإشرافها نادياً رياضياً له لجنته التنفيذية ونشاطه الخاص وملعب فسيح الأرجاء، ولما عقد الاتحاد في 16 تموز/ يوليو 1946 مؤتمراً حضرته أعداد كبيرة من السيدات العربيات من مختلف العواصم، خفقت أعلام بلدانهن على جوانب الملعب.

ضاعفت في عقد الأربعينيات من نشاط الاتحاد النسائي في الميدان الثقافي، فواظبت على دعوة الأدباء والفنانين لإلقاء المحاضرات العلمية والوطنية، وللمناقشة في الشؤون الثقافية.

كان سر نجاحها هو أنها لم تعتمد على التبرعات فحسب، بل على العمل الإنتاجي أيضاً، وللمثال ما قام به الاتحاد منذ البدايات، إذ اشترى قطع من الأراضي المزروعة بأشجار الفاكهة وكروم العنب، وقدمها لعائلات الشهداء كي تقوم برعاية الأرض وتستفيد من منتوجاتها الزراعية، كذلك فعل مع النساء فقام بتعليمهن الخياطة والحياكة كي يصبح لهن مورد رزق. أما القرار الأشهر فكان تعليم الفتيات صناعة الأزهار، ولأول مرة ابتدأت الصبايا تنتج أياديهن الأزهار الاصطناعية، وكانت زليخة الشهابي تقوم معهن بهذا العمل برغبة وسعادة، كما تقوم معهن بصنع أنواع من "الكريمات" للتجميل، وقد درج الاتحاد على إقامة أسواق خيرية لبيع المنتوجات على أنواعها وصرف الريع على المشاريع الخيرية.

واصلت أعمالها بعد النكبة بنشاط مضاعف ما جعلها كثيرة التنقل بين القدس وعمّان، غير أن إقامتها بقيت في القدس. وأضافت إلى مسؤولياتها في سنة 1959 رئاسة اتحاد الجمعيات الخيرية لمحافظة القدس.

واصلت أسفارها وحضرت المؤتمرات العربية والدولية بشأن المرأة، وشملت أسفارها بريطانيا وروسيا، بالإضافة إلى العواصم العربية، وكانت من خير من مثلن المرأة الفلسطينية، وشرحن القضية الفلسطينية على المنابر.

انتخبت عضواً في مكتب الاتحاد العام للمرأة العربية، فحضرت اجتماعات الاتحادات النسائية والمؤتمرات الخاصّة بالمرأة في بيروت والقاهرة والقدس، وكانت في مقدمة النساء الأعضاء في المؤتمر الفلسطيني الأول الذي انبثقت عنه منظمة التحرير الفلسطينية في 28 أيار/ مايو 1964، وسعت بصفتها رئيسة الاتحاد النسائي في القدس إلى نشر فكرة إنشاء اتحاد عام للمرأة الفلسطينية.

دعت إلى اجتماع عام بتاريخ 20 شباط/ فبراير 1965 في القدس، حضرته ممثلات الاتحادات النسائية في المدن الفلسطينية تمهيداً لعقد مؤتمر عام يضم النساء الفلسطينيات في الوطن وفي الشتات، ويهدف إلى تشكيل إطار نسوي فلسطيني باسم الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية. وأشرفت بصفتها رئيسة اللجنة التحضيرية العامة للمؤتمر على عقد المؤتمر النسائي الفلسطيني في تموز/ يوليو 1965، في القدس، بمشاركة 174 عضوة، ومساهمة دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير في التحضير لقيام الاتحاد دستورياً وتنظيمياً وإدارياً.

كانت من أوائل الذين قامت السلطات الإسرائيلية بإبعادهم إلى الأردن في أعقاب احتلال إسرائيل للقدس الشرقية والضفة الغربية في سنة 1967، غير أن تدخل عدة دول والأمم المتحدة فرض على إسرائيل السماح لها بالعودة ومزاولة عملها كرئيسة للاتحاد النسائي.

استمرت تعمل بنشاط حتى رحيلها في التاسعة والثمانين.

توفيت في 13/5/1992، وشُيّع جثمانها من المسجد الأقصى المبارك، بحضور العديد من الشخصيات الوطنية.

المصادر:

"الحركة الوطنية الفلسطينية: 1935- 1939. يوميات أكرم زعيتر". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980.

الخالدي، عنبرة سلام. "جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين". بيروت: دار النهار للنشر، 1979.

خرطبيل، وديعة قدورة. "بحثاً عن الأمل والوطن: ستون عاماً من كفاح امرأة في سبيل قضية فلسطين". بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1995.

طوبي، أسمى. "عبير ومجد". بيروت: مطبعة قلفاط، 1966.

"المؤتمر التأسيسي الأول لقيام الاتحاد